الياس الخوري

القبـــر

1 ــ هذا الصباح

الصباح : رائحة الصباح. الأجراس : أصوات الأجراس. الضوء : ألوان الضوء. العيون : أوجاع العيون. العدس، الماء، الأيدي، الوجوه : الوجوه المستطيلة. الوجوه التي تذهب بعيداً، الوجوه البعيدة أنا المستلقي، أنا أنهض، أحمل رأسي بين يدي، أفتح عيني، أرى، لأرى. صحوت هذا الصباح، أنا الذي ينهض، لا ينهض، أنا لا أنهض. أمس قلت وكانت أمي، وكانت تلك المرأة التي اسمها مااسم تلك المرأة ؟ قلت هذه المرأة ــ تلك المرأة التي التقيتها، التقطتها كحجر على الرصيف، كرصيف على البحر، كبحر البحر، وكان اللون أزرق والأجراس التي تطن في أذني وصوت الموج ووجه الرجل. ما اسم الرجل الذي أخبرني ! ماذا أخبرني ؟ قال لي ثم وقف على أعلى صخرة ورمى بنفسه، قلت اتبعه وأرمي بنفسي، لم أتسلق الصخرة لكني نظرت الى الاسفل ما وجدته في الأسفل ورميت بنفسي. علا رأسي فوق الموج الأبيض. حاولت أن أنظر فسمعت طلقات وكان مركب بعيد ورجال وجوههم تتلون بالامواج وديناميت، جسدي يرتجف أرقص والماء يرقص، ثم امتلأ البحر بالاسماك. كانت الأسماك حولي وأنا احاول أن أرى، وكان السمك الميت والرائحة. ملح البحر والسمك ووجه صديقي، وجه ذلك الرجل الذي يصرخ ولم أكن أسمع صراخه. كان يقول ولم أكن أقول شيئاً. كنت أعلو لكن لا يرى، كنت أقول الاسماك وهو يركض، كان يركض كأنه يركض. ثم وقف على الصخور ورأيت قدمين عاريتين، وحاولت أن أقترب، لكن الرائحة كانت قوية. ثم حين خرجت من الماء سألني، ماذا سألني ؟ سألني وكنت أرتجف من الخوف وكان يلهث ككلب خائف وكنت ألهث ككلب خائف، ولم أر الكلب. الكلب الذي هجم وعضني لم أره قبل ان يهجم. الكلب الذي يهجم كان أسود لا كان أبيض ومبقعا بالأسود. لا كان رمادياً. كلب رمادي وأنا لم أره. وهو يقف. أنا لم ألاحظ أنه كان يقف أو يركض، أنا لم ألاحظ شيئاً ثم عضني. لم أشعر بالألم شعرت بوجهه. رأيت وجهاً ودما على الاسنان وصاح الناس عضه الكلب وبدأوا يركضون باتجاهي. وبدأ الكلب يركض والناس يلحقون الكلب. حجارة وصراخ وغبار. وأنا استند الى الحائط، لم يكن هناك ألم، لكني لم أركض خلف الكلب كما فعل الجميع، ربما خفت، أنا أخاف من الكلاب، وهي التي لم أعد أذكر اسمها تخاف من الكلب. نحن نمشي، كنا نمشي، وكانت طرقات الجبل ضيقة، وصديقي الى جانبي. صديقي يضحك وينكت وينظر الى تلك الفتاة،

وأنا الى جانبه ابتسم وأنظر اليها وهي لا تنظر، قلت إنها تحبه، يبدو أنها تحبه، وأنا لم أكن أحبها، لكن ضحكتها، كيف كانت ضحكتها، كانت جميلة وتلبس تنورة مني جوب قصيرة، وتضحك بصوت مرتفع وتؤشر بيديها الطويلتين عندما مر كلب من بيننا كان كلبا صغيراً وكنت على وشك اعلان خوفي. كنت على وشك الهرب عندما سقطت هي على الأرض وبدأ صوت صدرها يرتفع جلست على الأرض، وضعت يديها على ركبتيها وبدأت تلهث، وصديقي يلحق الكلب والكلب يهرب وأنا إلى جانبها ولم ألحق الكلب انحنيت فوقها، لا أعلم ماذا حل بها، انحنيت، مددت يدي الى الامام وبدأ رأسي يسقط، ثم فكرت ان أجلس الى جانبها وأسألها، ركعت على ركبة واحدة، وضعت يداً خلف ظهرها وتركت الأخرى للسؤال، ثم رأيت يديها تلتفان حول رقبتي كأنها تريد أن تقبلني. انحنيت أكثر حتى لامس وجهي شعرها القصير الأسود حين سمعت صوت صديقي فوقنا، تركتها والتفتت اليه، كان أشعث الشعر ويشبه الكلب الخائف. الكلب هرب قال صديقي ثم استدار وهو يمد لها يده. كنت أريد أن أقول لها حين رأيتها تنهض، تمسك بيده وتنهض ثم تمشي ونحن نمشي الى جانبها. أنا عن يمينها وصديقي عن يسارها، وكانت تتمايل كأنها ستسقط على الأرض. وكان صديقي خائف عليها، سألتها اذا كانت تخاف من الكلاب، قالت انها رأت كلباً يعض طفلًا. قلت أنا عضني الكلب، لكنها لا تنظر إلي كأنها لا تسمع. قال صديقي إن الكلاب لا تخيف هي تخاف. أنا عضني الكلب قلت له، لكني لا أعرف كيف لم أره وهو يعضني. نظر الى الفتاة. وضع يده خلف خصرها. الكلب الذي عضني يشبه صديقي. كنت أريد أن أقول لكني لم أقل شيئاً.وهذا الوجه، وجه تلك المرأة، لا ليست تلك التي سقطت على الأرض، ولكن أين وجهها ؟ لماذا عيوني العدس فوق عيوني، كأن حبات العدس تغلق أهدابي، كأنها مسامير. أحاول أن افتح عيوني، والمسامير من أين تأتي المسامير ؟ وقطرات الماء. هل يمكن ان يكون صديقي قد أغلق عيوني بالماء ؟ ثم الماء لا يؤلم أمي قالت إن الماء لا يؤلم، وكنت أقف أمامها عارياً وهي تدلق الماء على رأسي وأنا أحاول الهرب والبخار يملأ عيوني فلا أدري، وصوت أبي من خلف الباب وهو يتوعد، وأنا كأنني أريد أن أهرب، الى أين أهرب ؟ الماء لا يؤلم لكنه يؤلم عيوني، أحاول أن أفتحها والا لم يصعد من عيوني إلى سقف الغرفة لكني لا أرى سقف الغرفة.

صحوت باكراً هذا الصباح وكان فمي رطباً، ابتلعت ريقي ورفعت رأسي، رأسي لا يرتفع، خرجت رائحة الصباح، كان الصبح ابيض ولزجاً، وكان الضوء الذي يتسرب في أهدابي مائلًا الى السواد، ورائحة الصباح لا تشبه شيئاً، تشبه رائحة بركة محاطة بالأشواك. ما هذا الصباح ؟ سألت أمي لم أسمع أي جواب. يجب أن أذهب الى العمل يجب أن أشرب القهوة، يجب أن أحلق ذقني ذقني طالت قليلا، وتلك الفتاة تقول ان ذقني تترك آثاراً حمراء على خديها. يجب : نبدأ الصباح بفتح عيوننا، عندما ننهض من الفراش لا قبل ان ننهض نفتح عيوننا ثم نفتح النافذة وننهض. ننهض ونفتح النافذة ونشم رائحة الصباح، ويأتي الصباح كأنه

أكوام من التراب والأمطار. قبل أن أذهب الى النافذة يجب أن أذهب الى عيوني، وجاءت الأجراس. قبل أن أفتح عيوني جاءت الأجراس، طنين الأجراس يملأ الغرفة. يملأ البيت، لماذا يقرعون الأجراس ؟ هل مات أحد ؟ أعرف أن لا أحد سيموت. هكذا قالت أمي، قالت هذه السنة لا موت، هلكنا من الموت ! لماذا ؟ الموت يستطيع أن ينتظر سنة، سنة واحدة على الأقل قالت أمي الأجراس تقترب، والاصوات تملأ الغرفة. قلت افتح عيوني انهض، أفتح النافذة ثم أذهب الى الكنيسة وأقرع. الحبل يتدلى من السماء وأنا أتسلقه، ان من يرفع الجرس، أمسك الحبل الطويل وأقرع ثم أطير. الحبل يحملني الى الأعلى وأنا في الأعلى والأصوات وباعة الكعك والتمرية وعين السيدة وأصوات المرتلين والشماس منا وهو يركض، يلتفت يميناً وشمالًا برقبته الغليظة وأصابع يديه التي تشبه ازميل النجار، يقفز الى الحبل خلفي ، أنا معلق في الهواء وهو يمسكه بالحبل، أهبط وهو يعلو في الهواء. أخاف اريد أن أعود الى البيت والشماس يتدلى بالحبل وهو يرقص والشباب يتفرجون. لكني لم أفتح النافذة ولم أشم رائحة الصباح.

صحوت باكراً هذا الصباح. لم أفتح عيوني ورأيت الكلب، لم يكن كلباً، رأيت تلك الفتاة التي نسيت اسمها، لم أسألها عن اسمها، استحييت، كان سطح وليل ونجوم تملأ السماء، قالت إن النجوم جميلة وأنا لم أقل شيئاً. قلت، ماذا قلت ؟ قلت لها وكانت رائحة البخور تملأ المكان، وتمتمات وخشب عتيق وزيتون، اشجار الزيتون تتمايل وسط الظلام، الأشجار لا تتمايل ظلالها تتمايل . تمشي ومشينا، كنت أشعر بخوف في أسناني، لم ترتجف أسناني لكنها كانت خائفة، دخلنا الكنيسة العتيقة، شمعة واحدة مشعلة ولا أحد سوى وجوه القديسين بعيونهم الفارغة التي تنظر ولا ترى. ترى ولا تنظر، لا أعرف. كنت أريد أن أسألها اذا كانت تقبل دعوتي الى السينما، وأفكر : في السينما يطفئون الضوء. ثم تمتد يدي الى يدها ثم الى ركبتها وستنظر الي وتطلب مني أن اتوقف، أرى عيونها الواسعة وهي تشترط في الظلام. لكني لا أرفع يدي، وهي تبقى الى جانبي، أقبل راحة يدها ولا أنظر الى الفيلم. أغمض وأغرق في ظلام يدها. لكننا الآن. الآن ندخل وهناك شمعة صغيرة بيضاء والظلال تتراقص وفستانها الأبيض المليئ بحبات الكرز الحمرية يتمايل بجسدها وهيَ الى جانبي. امسكت يدها بدون ان أقول شيئا وهي لم تتكلم. هي أيضاً كانت تشدني. وقفنا خلف عمود سميك وكان صوت لهاثنا، اقتربت منها وأمسكت بالعمود وسقطنا على الأرض برفق. الشمعة وسط وعاء مليئ بالرمل وتحترق ببطء أمام الصورة. أخذت الشمعة في يدي واقتربت منها. اطفئ الشمعة قالت، اقتربت بالشمعة، كانت تجلس وتضم ركبتيها الى صدرها ورأيت وجهها. كان وجهها كأنه يشتعل بالضوء. اقتربت الشمعة من شعرها الكستنائي الطويل، تقلص وجهها، دورت شفتيها، ابعدت الشمعة وأنزلتها الى الأرض. انحنت فوق الشمعة، الضوء يختفي، كنت راكعاً الى جانبها وهي راكعة، اعتقد أنها كانت راكعة، وكانت رائحة الخشب الممتزج بالبخور وأصوات بعيدة وأنا خائف كنت خائفاً كنت برداناً، فكرت أنني بحاجة الى حزام صوفي، فكرت أنها ايضاً

تشعر بالبرد، اقتربت وكانت تقول لا، لماذا تقول المرأة لا ؟ ولماذا اقترب حين تقول لا ؟ كانت تقول لا وأشياء أخرى لم أسمعها جيداً، وكان الهواء ثقيلًا فوقنا، ثقيل وبارد ولا يتحرك، ثوبها تحت يدي، يدي على وجهها وجهها في صدري. ثم انتفضت الى الوراء، كنت أريد أن أنتفض لكنها سبقتني، وسمعنا اصواتاً، حاولت أن أنهض، لكنها تشدني من يدي إلى الأسفل، ثم قالت لا أحد الخشب العتيق يتشقق قلت لها.

نهضت، نفضت الغبار عن فستانها. كنت أريد أن أبدأ من جديد، لكنها نهضت، أخذت الشمعة وذهبت الى الايقونة، وهي بقيت واقفة الى جانب العمود تنتظرني. وصلت الى الايقونة، ورسمت اشارة الصليب، اشعلت الشمعة فرأيت وجهي في عيون الايقونة. خرجت وانتظرتها على باب الكنيسة قالت إنها ستتبعني، وانتظرتُ لكنها لم تخرج. أين هي ؟ قلت أدخل لأرى، لكني انتظرت. أنا أقف أمام الباب وألمح الظلال. كانت ظلالهم طويلة، يمشون أو يجلسون على الأرض، وأنا انتظرها وهي لا تخرج، ربما تصلي، دخلت لم أجد أحداً. الشمعة في مكانها، والكاهن يقف أمام باب الهيكل، حياني برأسه وأكمل تمتماته.

خرجت من الكنيسة ومشيت باتجاه الساحة حيث الظلال. رأيت رجلًا سألني، ماذا سألني ؟ لا أنا الذي سأل وسألته عنها. وقفت وحيداً حين سمعت ضحكتها وكانت تجلس معهم على زاوية السطح وحولها شباب وفتيات والكاهن يتكئ على عمود ويستمع اليهم. سألتها اذا كانت تسمع وسمعت أصوات تراتيل بعيدة قادمة من الكنيسة، ورأيت كلباً، كان الكلب أسود، الكلب يقترب، هي تضع يدها على رأسه، الكلب ينحني أمامها مستسلماً وراغباً في المزيد. قلت لهم إنني أخاف من الكلب، قلت لهم إن الكلب عض تلك الفتاة التي سقطت على الأرض وإن صديقي لحقه. أخبرتهم وكانوا كأنهم لا يسمعون. لماذا لا تسمعوت الى قصة الكلب ؟

أذكر أنني حين ركعت قبلت السرة، وأذكر أنها قالت لي لم تعد تستطيع، ولم أفهم كنت منحنيا، كانت عيوني نصف مفتوحة وهي تقول ولم أفهم ماذا يعني أنها لم تعد تستطيع وها أنا أقف خارج الباب وأنتظرها وهي لا تأتي. لماذا تقف هكذا طويلًا أمام الشمعة، أعود فأراها تمسك بالشمعة البيضاء وتغرسها في الرمل وتتمتم. انتظر وهي لا تخرج ثم أذهب وأقول لهم انني اريد ان أنام. وأنا نائم، أنا في سريري والغطاء فوق رأسي انقلب فأسمع صوت أمي، أنا لا أريد أمي، أريد تلك المرأة التي نسيت إسمها. كيف انسى إسمها ؟ وهي، هل نسيت اسمي ؟ لا أذكر انني قلت لها ما هو اسمي، لكنها عرفتني وكانت تناديني باسمي، ولكني الآن، الآن فقط لا أذكر فلأفتح عيوني، عندما افتح عيوني سأذكر اسمها ولابد وأن أقول لها.

ولكن لماذا هذه الأصوات ؟ أنا قلت لأمي انني لا أريد أصواتاً في الصباح، لا لم أقل لها هذا، خفت أن تزعل فلتزعل. وماذا يعني اذا زعلت ؟ لكنني لم أقل لها شيئاً، قلت لها فقط إن عيوني تؤلمني، منذ عشرين سنة وعيوني تؤلمني، وأنا أقول لها إن عيوني تؤلمني. أنا

متأكد أنها لم تعد تسمع ما أقوله لها. عندما أبدأ بعيوني أرى وجهها وهو يستدير كأنها لا تريد أن تسمع، والآن أريد أن أقول لها الشئ نفسه وهي لا تسمعني، كيف تسمعني، كيف تسمعني وسط هذا الضجيج. من أين يجلبون كل هذا الضجيج في الصباح، لماذا يصرخون ويتهامسون ويدخلون ويخرجون. وأنا معهم، أقول لهم لكني لا أقول.

لو وافقت هي، جاءت في الصباح وكنت في البيت وحيداً، وعندما عرفت أنني وحدي بدأ صوتها يرتجف. هذا يعني أنها موافقة، وإن كنت موافقاً، لكن الحقيقة، أين هي الحقيقة، جلست بهدوء في الصالون، وضعت قدما فوق قدم، وأنزلت التنورة حتى لا أرى ثنية الركبة ، كنت أفضل ان أحلق ذقني قبل أن تأتي، لكنها أتت. لم أعرف ماذا أقول لها، تكلمنا عن الصحة والطقس وسألتها اذا كانت تشرب قهوة.

ـــ أنا اعدها، قالت.

ـــ لا أنا.

ذهبت، أعددت القهوة وعدت بها الى الصالون، وكانت ما تزال جالسة ، جلست الى جانبها، فبدأ جسدها وكأنه يرتعش. وأنا أريد، كنت أريد، لكني لا أعرف، الحقيقة انني لم أكن أريد شيئاً وهي كذلك . وإلا لقمنا على الكنابيه في الصالون، لكنها بقيت جالسة وبقيت جالساً. ثم ذهبت، وبعد أن ذهبت قلت عيب، كانت ترتجف، هذا يعني أنها تريد، وأنا أريد، لماذا تركتها تذهب. أعتقد أنني خفت فذقني كانت طويلة قليلاً، ورائحة القهوة ادخلت النعاس في عيوني وعيوني تؤلمني.

لماذا لا يضيئون الضوء ؟

أضيئوا الضوء على الأقل، أردت أن أصرخ بهم، لماذا لا يسمعون، أردت أن انهض من الفراش، لكني لا افتح عيوني. وهذا العدس، اشم رائحة العدس المسلوق، وهم يخلطونه بالبصل، ورائحت النار، البصل يحترق أوقفوا النار وتعالوا لنأكل. العدس جاهز ولكنهم لا يريدون. أنا جائع، قلت انني جائع وأغمضت عيوني، رموشي تكاد تنزلق الى داخل المحجرين ، أرى الدوائر، دوائر سوداء ، تنحل في اللون الابيض. وسط الدائرة أبيض لكنها سوداء، ثم انكسرت الدائرة الى نصفين، ورأيت الباب، هذا هو الباب فلأخرج. خرجت، كان الباب مفتوحاً، وبدلًا من أجد نفسي في الطريق أو في الحمام، وجدت أمامي باباً جديداً. وجدت الأبواب، كل الأبواب مفتوحة وأنا أركض، لا أحد يستطيع اللحاق بي حين أركض، ولم يلحق بي أحد. هم يعلمون أنني اسرع من الجميع لذلك لا يجرؤون، لذلك أركض وحدي والأبواب مفتوحة، جميع الأبواب مفتوحة.

هذه المرة، هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي أريد أن أقول لكم أن تركضوا ورائي. هذه هي المرة الوحيدة التي أرى فيها الأبواب مفتوحة وأقول لكم اركضوا فتتركوني وحيداً ولا تركضون

معي. حتى تلك المرأة. ما اسم تلك المرأة ؟ تلك التي قالت انها ستأتي معي الى آخر الدنيا، والآن أول الدنيا، أنا لم أصدقها حين قالت، فهي تخاف لا توجد.امرأة لا تخاف من آخر الدنيا. والرجال أيضاً يخافون. وأنا أخاف. أنا خائف وهذه أول الدنيا.

في البداية، أو حين يبدأون أو حين نبدأ أو.. في البداية تنفتح الأبواب ويتركونك تدخل، وأنت تدخل تكون في البداية والزمن معك، لا تتردد لأن الزمن معك، هم يغلقون الأبواب خلفك، وأنا أعرف ، أعرف أنهم سيغلقونها لكني أدخل، حتى لو عرفت فإن هذا لن يغير شيئاً، ادخل.

لا أعرف عن ماذا أحكي، لا أحد يستمع إليّ، لا أحد، اذن لا أحكي، لكني أرى الأبواب المفتوحة. الحقيني صرخت لك أن تلحقيني، وأنت تقفين. أنا لا أقصد هذه، أقصد امرأة أخرى. ولكن أقبل وهي لا تقبل أنا مستعد أن اوافق على كل شيء ولكن المرأة الأخرى تشبه المرأة التي حدثتكم عنها، انها تشبهها اختي تشبه أمي، وأمي تشبه أمه، وأمها تشبه أمها، وأنا اشبه الجميع وأركض.

والأجراس ؟ من أين الأجراس ؟ لماذا تقرعون ؟ وهذا الوجه، لماذا ينحني هذا الرجل فوقي، رائحة فمه، ما هذه الرائحة التي تخرج من أسنانه ؟ يريد أن يقبلني. أنا لا أحب أن يقبلني هذا الرجل، أخاف أن يعضني، أخاف من الكلب عضني في فخذي، ووضعوا الابر في بطني وانتهينا.

مشاهدات

الظلال

المكان : شاطئ البحر.

الزمان : بيروت.

لأبطال : لا يوجد.

ولكن هناك رجل واحد يدعى عادل. رجل في الثلاثين، بعض الشيب الذي يتسلل الى الرأس، عيناه زائغتان كأنهما لا تريان حين تنظران، أو كأنهما لا تنظران. عادل سوف يذهب الى المقهي الذي على شاطئ البحر كي يرى الذي سيحدث. الحقيقة. أنا لم أرسله الى هناك. ركض في الصباح وقال انه ذاهب الى المقهى لانه على موعد مع سحر. قلت له انني قد أتبعه الى هناك، وتبعته. هو الآن يعتقد أنني ارسلته الى هناك ولم أتبعه، لكني تبعته ولم يرني، عندما وصلت كان المقهى قد انتهى وعادل يجلس في غرفته الصغيرة وحيداً. ينظر الى الحيطان فلا يرى شيئاً × سحر قالت له انها لا ترى في عينيه غير الفشل الكامل، وأنها تحبه من أجل عينيه لأنهما نصف مغمضتين. عادل لم يصدقها، قال لها انها لا تحبه وذهب

الى المقهى دون أن ينتظرها. وصل. كانت الشمس تلتمع على صفحة البحر ورائحة الملح الممزوج بالاعشاب ورجال يجلسون حول طاولات خشبية، وهو يمشي بين الكراسي والطاولات. توقف أمام طاولة ، سلم على الرجل الجالس، وجلس الى جانبه ، يذكر أنه يعرفه لكنه لا يذكر الاسم. رحب الرجل بعادل ودعاه الى شرب فنجان قهوة. جلسا يحتسيان القهوة المرة بصمت. الرجل يبعث دخان سيجارته في مواجهة البحر ولا يتكلم، وعادل لا يتكلم. والاصوات تضيع في صوت البحر. كأن الناس الذين يجلسون في ذلك المقهى لا يتكلمون.

عادل ينظر الى البحر وسحر لا تريد أن تأتي، وهو يحاول أن يتكلم كي ينسى أنها قالت له عن سأمها من الفشل..

ـــ أنا مسافرة. أنت لا تقدر أن تسافر، أنت مربوط الى الموت، أنا أريد أن أذهب، أنا لا علاقة لي وهو يحاول أن يقول لها إنها تكذب ، وأنه يخصها كما يخصه.

ـــ ماذا يعني لا علاقة لك ؟

ـــ أنا لا علاقة لي بك أو بعيونك، عيونك تزوغ، عيونك تضيع، وأنا لا أريد، لا أستطيع أن أتحمل وهو أيضاً لا يقدر أن يحتمل، لكن ماذا يقول لها، لن يتزوجها، ليس لانه لا يحبها، لكنه لن يتزوجها، الزواج مستحيل، وهي أيضاً، هي تقول أنها لا تريد الزواج.

ـــ أنا لا أحب أن اتزوج، وعلى كل حال فأنا لا أحبك.

وأنا لا احبها، أنا لا أحب أحداً. يسأل عادل الرجل الذي يجلس أمامه عن النساء. ينظر الرجل الى البحر ويشير بيده، يرفع اصبعه ويشير، وأصوات الدنيامیت، وزورق ملئ برجال عراة، الزورق يهتز والموج يعلو، الرجل ينظر وعادل الى جانبه ينظر. وضع عادل علبة المارلبورو الحمراء على الطاولة، ولمع سيجارة جديدة وسأل الرجل اذا كان ينتظر أحداً. طبعا لا أجاب الرجل. وافهمه أنه لا ينتظر ولا يريد أن ينتظر، وأنه بعد هذا العمر الطويل لم يعد يستطيع أن يضيع وقته في الانتظار، لذلك يأتي الى المقهى ويتفرج على البحر.

ـــ الحق معك، قال عادل.

الرجل يلتفت الى عادل ويسأله نفس السؤال، اراد عادل أن يجاوب كما جاوب الرجل، لكنه لم يجاوب، لم يكن يملك وقت الجواب، رأى الزورق ينقلب، ثم رأى رجلا عارياً يسبح باتجاه الصخور، وقف الرجل العاري على صخرة وبدأ يصرخ ويؤشر بيديه. ولم يكن هناك أي صوت. التفت عادل الى الرجل فراه، وكأنه لا يهتم بمشهد انقلاب الزورق، اراد أن يقول له حين رأى شيئاً غريبا على وجه الرجل، ليس وجهه بالضبط، بل خده وفكه،كأن ثمة ارتجافة غريبة تشبه صوتاً لا يستطيع الخروج من الحلق، التفت الى حيث ينظر الرجل وكان الوقت قد فات، لم ير شيئاً، سمع طلقة رصاص، ورأى رجلا شاهراً مسدسه يقف قرب طاولته، اعتقد أنه هو المقصود، وشعر بالبكاء، أراد أن ينهض، ثم رأى الرجل الذي يحمل المسدس ينحني على الطاولة كأنه يتفحصها، ويضع مسدسه في حزامه الجلدي ويمضي بهدوء. جميع الناس

الذين كانوا ينظرون الى البحر أو يلعبون طاولة الزهر توقفوا عن النظر واللعب، وهم الآن يحومون بعيونهم حول الطاولة.عادل ينظر اليهم مستطلعاً، وهم ينظرون اليه ولا يردون على الأسئلة المرتسمة في عينيه.

نظر عادل الى حيث ينظرون فرأى بقع الدم الحمراء التي تشبه علبة المارلبورو، ورأى يد الرجل الممدودة على الطاولة ورأسه المنحني فوقها، وبقعة حمراء في الرأس.

التفت الى الناس كي يسأل، لكنهم كانوا يغادرون، يلمون أغراضهم ويغادرون المقهى بهدوء وظلالهم الطويلة تمتد على الطاولات.

عادل يقف، يفكر أن عليه أن يغادر المكان بسرعة، يشعر بحاجة ماسة الى التدخين، يبحث عن علبة على الطاولة، لا يجدها، ينحني تحت الطاولة، ويفتش، لا يجد العلبة، يضع يديه في جيوبه ويفتش. أين العلبة ؟ يجلس على الكرسي ويتفحص الرجل الذي يجلس أمامه، عين نصف مغمضة والعين الثانية تغرق في اليد الممدودة العلبة تحت كوعه. يفكر عادل في افضل طريقة يأخذ بها العلبة ويمضي. أنا لا علاقة لي، هم قتلوه. هذا المسدس المصوب الى رأسي قتله، يجب أن آخذ العلبة وأمضي قبل أن يأتي البوليس ويبدأ التحقيق الذي لا ينتهي ، لن يأتي أحد، ولن يحقق أحد، سوف يضيعون لنا وقتنا إذا أتوا. أريد أن أعود الى البيت وأتلفن لسحر وأقول لها انه يجب أن أراها، وسترفض في البداية كما ترفض دائما. هي قررت أن لقاءاتنا لا جدوى منها ولن تقود الى نتيجة. وأنا وافقت. ما معنى النتيجة. الى أية نتيجة ستقود لقاءات مليئة بالسأم، تجلس أمامي، هي تنظر الى العابرين وأنا أنظر الى العابرين. نتبادل بعض الكلمات العامة ثم لا أعود اعرف ماذا أقول لها. عن الجنس لا طعم له، هي قالت إن الجنس لا طعم له، وأنا وافقتها والآن سأطلب منها أن نلتقي وأكرر موافقاتي التي بلا نهاية. ثم نفترق، وتقرر هي أن لا نلتقي من جديد.

انحنى عادل فوق الرجل، مد يده الى العلبة، لا أحد ينظر، لم يعد المشهد يهم احداً، حاول سحبها، الذراع ثقيل فوق علبة الدخان، يجب أن يرفع الذراع الى الأعلى قليلاً ثم يسحب العلبة. رفع الذراع يعني تغيير وضع الجثة عند حدوث الوفاة. الجثة سيتغير وضعها على أية حال. مجرد رصاصة دخلت الجمجمة واحدثت الوفاة. ثم ماذا . بعد دفن الجثة فكل شيء سيتغير، انهيارات ورماد وأشياء أخرى لا لزوم للتفكير بها حتى لا يبدأ الناس في البكاء. فالبكاء صار مقرفاً، هكذا قالت سحر، وأنا اوافقها، مشهد رجل يبكي أو امرأة تولول لا يثير غير القرف. من أين يجلبون هذه الكمية من الدموع ؟ خاصة وأن علي، وهذا هو اسم ابن الفقيد، رجل ضخم الجثة عريض المنكبين يقف بهدوء ووقار ويتقبل التعازي، وحين بدأ الشيخ يتكلم عن الأعراض التي تحدث للجثة بعد دفنها، انهار عن الكرسي وبدأ يبكي كأنه امرأة، والشيخ ينظر الى دموعه ويشعر بأهمية كلامه، ويتابع مركزاً على انفجار البطن الذي يحدث

بعد الوفاة بثلاثة أيام، وعلى الدود وتختر الجسد وتعفن الكفن. والسيد علي يتابع بكاءه، يهز كتفيه وينتظر كلام الشيخ كأنه لا يريده أن يتوقف، وسحر تنظر الى علي بعينين مليئتين بالاشمئزاز. وحين خرجنا، بعد أن قمنا بواجب العزاء، قالت لي إن البكاء شيٌ مقرف ووافقتها وقلت أكثر، قلت إن الحزن أيضاً هز شيٌ مقرف. وأن الانسان أو الحيوان الحقيقي هو الذي لا يحزن ولا يفكر ولا يتذكر. ووافقتني على الرغم من أنها لا تتوقف عن رواية ذكرياتها عن موت أمها بسرطان الدم، وكيف بكت. وكيف لاحظت أن أباها كان مهتماً منذ اللحظة الأولى التي عرف فيها بمرض الأم بتدبير عروس يتزوجها، وأنه حين تزوج قال لسحر إنه يبحث عن السترة.

المهم أنها وافقت وأن تغيير وضع الجثة لا معنى له طالما أن الجثة نفسها سوف تتغير. مد عادل يده وحاول سحب العلبة دون أن يزيح الذراع، فرأى كلباً مرقطاً يحوم حول طاولته، لمحه لمحاً، فشعر بخوف كالقشعريرة. عادل لا يخاف من الكلاب، لكن جلده تنمل دفعة واحدة، وكانت علبة المارلبورو مطعوجة تحت الذراع. مد يده اليسرى الى الذراع، رفعه قليلًا الى الأعلى سحب العلبة بسرعة وترك الذراع يسقط على الطاولة. وضع العلبة في جيبه وهرول خارجاً من المقهى دون أن يلتفت الى الوراء. رأى على مدخل المقهى رجال الاسعاف بثيابهم البيضاء يركضون باتجاه الطاولة.

أكمل عادل سيره، وصل الى كورنيش المنارة، وبدأ يتمشى. قرر أن يتمشى قليلًا قبل أن يعود الى بيته أخذ العلبة من جيبه فتحها بصعوبة ولع سيجارة مطعوجة وبدأ يمشي. توقف عند بائع بيرة، اشترى تنكة مثلجة، فتحها، وضعها على فمه وبدأ يمتص القطرات الصفراء التي يمتزج طعمها بعم التنك.

وقف على الشاطئ ولاحظ أن الكورنيش فارغ على غير عادته، لم يشعر بأي خوف. لماذا أخاف ؟ أنا لا أخاف. نظر الى البحر فرأى رجال الزورق المنقلب وقد أعادوه الى وضعه الطبيعي، ولاحظ حركات أجسادهم فخمن أنهم يغنون. رفع يده وأوقف سيارة تاكسي وطلب من السائق أن يوصله الى بيت سحر.

الخنجر

عادل يقرر.

قرر عادل أن السفر هو الحل الوحيد.

ـــ لا يوجد حلول أخرى، قال لي، لكن السفر أفضل. البحث عن الثروة.

ـــ إلى أين أسافر، سألني عادل.

من الطبيعي أن أقترح عليه أوربا وفرنسا بالذات.

ـــ أوربا. لا، لم أعد أرى أي شيء يجذبني، هم ينجذبون الينا، أما نحن فانتهت

ـــ أمريكا قلت له.

ـــ لا، أمريكا بعيدة. أفضل الخليج.

الخليج العربي أو الخليج الفارسي أو لا أعرف ماذا سيسمونه بعد عشر سنوات. أنظر الى حرف الجيم الى الدائرة التي في آخره ج يجب أن تبدأ الأبجدية بالجيم. بالدائرة التي تشبه امرأة مستلقية على الرمال الحارة. والرجل كالنقطة في وسطها. أو تبدأ الابجدية بالنقطة؛ لان العالم بدأ بالرجل ويجب أن ينتهي به. ويكون الرجل كالصفر الضائع وسط الدائرة.

ـــ أنت تمزح يا استاذ عادل.

ـــ أنا لست استاذاً ولا أمزح. أنا النقطة وأريد أن أذهب الى الثروة.

كان هذا الحوار هو آخر حواراتنا، وأعتقد أنه ذهب الى هناك. فأنا أعتقد أن النفط أفضل من الثمر. صنع العرب من الثمر الهاً وعندما جاعوا أكلوه. أما النفط فأنت لا تستطيع أن تأكل النفط، تعبده وتبيعه فتندفق الثروة. اعتقدت أنه ذهب الى الثروة، لكنه لم يذهب.

غادرني عادل ومشى في الشارع، توقف أمام بائع عصير الجزر، اشرب كباية جزر قبل أن أذهب واشترى بنطلوناً. وقف ، كان الدكان ضيقاً، رجال يقفون حول الآلة الكهربائية الصغيرة التي يقف خلفها الرجل يمسك الجزرة بيده ويضعها ببطء، ثم يسمك بالثانية، والعصير البرتقالي يتدفق وهو يسكب في الأكواب والناس يشربون، وعادل ينتظر دوره. ثم لمحها، كانت تنزل من اول الشارع وهي تلبس بنطلونها الأزرق وقميصها الأبيض ومعطفها الأسود وتمشي بهدوء. أشار لها بيده، تقدمت منه. انها ليست سحر، لكنه يعرفها. دعاها الى شرب كباية عصير، شربا بسرعة ومشي الى جانبها، قال لها إنه ذاهب الى شارع الحمرا ليشتري بنطلوناً، مشت الى جانبه وكانت تضع يدها في جيب معطفها سألته عن الأحوال وكانت تضحك ، اقتربت منه أو أعتقد أنها اقتربت منه، أمسكها من ذراعها وهما يقطعان الشارع، ثم مد يده الى جيب معطفها، تغلغلت يده بين اصابعها، وأمسك يداً صغيرة ودافئة. وكانت تنظر اليه وتبتسم. مشيا طويلاً والمطر ينهمر. دعاها الى شرب فنجان قهوة، قالت إنها تفضل المشي، يده في يدها وهو يلتفت اليها ويحاول أن يتذكر اسمها، ثم لا يعلم من أين جاءته الجرأة وقال لها بحياء وصوت يتعلثم انه يتذكر كل شيء، لكنه لا يذكر اسمها.

ـــ ماذا تذكر، سألته.

ـــ الحقيقة، أنا لا أذكر شيئاً، لكني أعرفك، اعرف كل شيء.

ـــ ولو ياعادل، تمشي معي وتمسك يدي ولا تذكر اسمي أو أي شيء عني.

ـــ أنا أتذكر، في العادة اتذكر، لكن الآن نسيت الاسم فقط

سحبت يدها.

ـــ هذه يد وليست شجرة.

قال لها، أخبرها قصة العسكري، أنا مثل العسكري الذي يسقط. استندت الفتاة الى الحائط وسط حبات المطر الخفيفة واستمعت اليه.

ــ أنا مثل العسكري الذي سقط على المنحدر.

كانت مجموعة من العساكر تقطع الجبل، مشوا أياماً ولياني لا تنتهي، وسط البرد ووسط الشوك ووسط الثلج، لكن الجندي المسكين ولنقل ان اسمه عادل زحطت قدمه. كان عادل تعباناً، ورتل العساكر يمشي على حافة منحدر، زحطت رجل عادل العسكري، حاول أن يتمسك بشيء حتى لا يسقط في قعر الوادي ويموت، لكن لا يوجد شيء في المنحدر، وعادل يتدحرج بعنف. والعساكر فوق ينظرون اليه بعيون مليئة بالتعب والشفقة. ثم وجد نفسه وقد تعلق ببلانة، تمسك جيداً بكومة الشوك وبدأ يصرخ، كان يعتقد أنه يصرخ، لكن صوته خرج خافتاً وبطيئاً، ولم يسمع العساكر شيئاً، أنا مثله ومثله كان يجب هل تعرفين القصة. أنت لا تعرفين شيئاً. تقول القصة ان الضابط الشجاع، يجب أن يكون الضابط شجاعاً في القصة على الأقل، فكر طويلا في الأمر، أي فكر بسرعة وقرر أنه لا يستطيع انقاذ العسكري المتعلق بالأشواك في وسط المنحدر، فقرر أن الطريقة الوحيدة لانقاذه من هذا العذاب هي أن يطلق عليه النار. أخذ بندقيته، رأى عادل البندقية المصوبة اليه، اصابه رعب شديد ولم يفهم، وسمع دويا ومات. لكن ياستي هذا الضابط لم يكن شجاعاً فقط. كان شجاعاً وعكروتاً، فلم يفعل كما يفعل الضباط في القصص، ترك العسكري المسكين معلقاً بالاشواك ومشى، قال إنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً من أجله، وأنه سيموت على أية حال، فلماذا إضاعة رصاصة ؟ تركه ومشى. أنا مثله، مثل العسكري، ولكن انت لماذا تسحبين يدك ؟

ــ أنت تضحك علي، قالت الفتاة التي تلبس بنطلوناً أزرق، لا تتذكر اسمي وتخبرني القصص.

ــ أنا لا أضحك. لا والله لا أضحك، أنا اقول الحقيقة.

ــ حقيقة وكذب.

ــ طيب، لم تسألني لماذا لم يعوض الضابط. وهذه قصة ثانية. هل أخبرك قصة الضابط ؟

التفتت الفتاة الى عادل وبدأت تتراجع الى الوراء.

ــ أنت تضحك علي، سوف تخبرني القصص من هنا وحتى أصل معك الى الفراش

ــ لا والله، أنا أمشي في الشارع، أنا اريد شراء بنطلون، ولكن مع هذا سأخبرك قصة الضابط.

بدأت الفتاة تستدير، ثم ركضت كأنها تهرب من رجل يلاحقها، عادل يلحق بها وهي تركض. عادل يلهث وهي تلهث. وصل إلى جانبها.

ـــ خلص، قالت، ماذا تريد ؟
ـــ اسمك، قولي لي اسمك.
ـــ لا.
ـــ طيب، أنا سأخبرك شيئاً.
ـــ أخبر. أنا مستعجلة.
ـــ أنا أعرف الى أين تركضين، انت ذاهبة الى الضابط، ولكن لو سمعت القصة كنت عرفت ان الضابط فرط، وضعه ألعن من العسكري.

ركضت وعادل لم يتبعها. تذكر عادل انه في الاساس ذاهب كي يشتري بنطلوناً، وأنه لم يكن هناك لزوم لاخبار هذه الفتاة المسكينة بقصة العسكري، فلا هو عسكري ولا هي تعرف الضابط، والقصة مفبركة من الاساس، لان العسكري لم يسقط، الذي سقط كان رجلا آخر، ولأن الضابط لم يتردد، هو الذي دفش الرجل ثم قوصه قبل أن يتمسك بالشوك.

تابع عادل سيره وحيداً. المطر يشتد والسيارات تتوقف مشلولة أمام انهار الماء، أصوات الزمامير تعلو، توقف عادل تحت شرفة يتقي المطر، المطر لا يتوقف، تابع سيره راكضاً ووضع يديه على رأسه، لكن اصوات الزمامير كانت تنخر أذنيه، وصل الى أمام دكان لبيع الالبسة الجاهزة، دخل، فتح الباب الزجاجي ودخل. كان المحل هادئاً والبنطلونات معلقة ومتدلية كأنها مربوطة بحبال، ولم يجد البائع، وقف يتفرج على أنواع الموديلات المختلفة عندما ربتت يد على كتفيه.

ـــ أهلًا وسهلًا.
ـــ بنطلون شتوي، قال عادل.
ـــ تكرم عينك.
دخل الرجل بين أكوام البنطلونات المعلقة، ثم عاد يحمل بنطلونا أخضر.
ـــ لا، اريده أسود.
أخذ الرجل ماسورة وضعها على خصر عادل. دخل من جديد وعاد ببنطلون أسود.
ـــ تفضل.

بدأ عادل يخلع بنطلونه الملوث المياه كي يقيس هذ البنطلون الجديد المكوي بعناية. البائع ينظر الى عادل وهو يفك أزرار بنطلونه وعادل يصفر. البنطلون ينحني قليلا على الركبتين. عادل ينحني على حذائه يخلعه، البائع يتقدم نحوه ويناوله البنطلون الجديد. يلبس عادل البنطلون الجديد. البائع يدله على مرآة في طرف الدكان. عادل والبائع يتبعه. البائع ينحني بين الفخذين ويشير الى امكانية اصلاح البنطلون لانه واسع قليلا عند الخصر.
ـــ لا مناسب، أنا أفضله هكذا.

البائع لا ينهض، ما يزال راكعاً على الأرض، وأنا ادور حول المرآة وأراه بوجهه النحيل وقامته الرفيعة وأصابع يديه الطويلة.

نهض البائع، لف البنطلون، دفعت الثمن وحاولت أن أخرج، لكن المطر وكنت جائعاً، سألته عن دكان قريب استطيع أن أشتري منه علبة لبن، دلني على الدكان الذي الى جانب دكانه وقال لي انني استطيع ان اشرب عنده حتى يتوقف المطر. سألته اذا كان جائعاً، قال لا. ذهبت وعدت بعلبة لبن كبيرة وشلمون، قدم لي كرسيا، جلست، شكرته وبدأت أشرب، البائع ينظر الى علبة اللبن وإلى وأنا اشرب، اعتقدت انه جائع مثلي، سحبت الشلمون كي أقدم له العلبة لعله يريد ان يشرب قليلاً. تساقط اللبن من طرف الشلمون على فخذي، مسحته بكفي، قال انه يستطيع أن ينظفها، شكرته وقلت له انني سأبعث البنطالون الى الكواي، أكملت شرب اللبن بعد أن وقفت لانظر الى المطر المنهمر من خلال الزجاج والى السيارات المرمية وسط الشارع، اقترب الرجل مني شعرت انه يضع يده على كتفي، التفتت، رأيته ينظر الى المطر.

ــ المطر شديد، قلت.

ــ بيروت، هذه هي بيروت.

لكن الرجل كان يقترب، وعادل يبتعد، عادل يقترب من الزجاج، عادل لا يفتح الباب ويخرج لان عليه ان يأخذ معطفه وبنطلونه الجديد. اندفع عادل صوب البنطلونات المعلقة، البائع يتبعه، عادل لا يقول شيئا والبائع صامت، رأسه بين البنطلونات لكنه لا يرى رأس البائع، وشعر عادل بخوف. أنا أريد، لم يسبق ان مارست الجنس مع رجل لا. قال عادل للبائع انه يريد ان يذهب الى بيته × ــ أستاذ أين أنت ؟

ــ أنا أتفرج على البنطلونات، جاوب عادل.

عاد عادل الى الكرسي فرأى البائع يقف خلف طاولته ويبتسم له. لبس معطفه، حمل البنطلون الجديد. شكر البائع وفتح الباب. رأى عادل الناس يركضون في الشارع، خرج ورأى نفسه يركض مع الراكضين، رأى رجلا يمسك خنجراً بيده ويتبعه البائع، البائع يركض والناس يركضون خلف حامل الخنجر. لماذا البائع هنا. سأل عادل، لم يجاوبه أحد، وكانوا يركضون وسط شارع الحمراء المطر، السيارات الواقفة وسط الشارع، اجراس الكنيسة القريبة وصراخ، اقترب الرجل الذي يحمل الخنجر من البائع. البائع يسقط على ركبتيه، عادل يقترب ويسمع صراخاً.

ــ يا أستاذ عادل، أعطني البنطلون.

الخنجر يلتمع وسط المطر، البائع يرتجف، الماء يغطيه الى كتفيه وهو راكع على الأرض وظهره يرتجف الرجل الذي يحمل الخنجر يرفع خنجره الى الأعلى، ويلتفت الى الوراء، عادل

يتراجع، يسحب سيجارة مارلبورو ويدخن. الخنجر يهوي، البائع يعوم على الماء الأحمر. عادل يقترب ، البائع يعوم على بطنه والخنجر في ظهره. عادل يغطي البائع بالبنطلون الأسود. أصوات المزامير والأجراس.

عادل يدخل الى المقهى، يطلب فنجان قهوة مرة وينتظر.

غداً سأسافر.

لا، غداً لن أسافر، السفر صعب، هؤلاء في الخليج لا يعطون فيزا بسهولة وأنا لا أحب مكيفات الهواء، ثم لن أسافر الى هناك.

ينهض عادل، يحمل البنطلون الجديد في يده ويمشي تحت شمس دافئة الى منزله، حيث سيستحم ويتفرج على فيلم مصري في التلفزيون.

وهـي

هي، انها هي، تمشي وانا انظر اليها، الى عينيها المعلقتين في سماء الوجه، الى الوجه. قال عادل انه يحبها، قال ذلك لأصدقائه قبل أن يقوله لها. كان يخاف من ارتجافة جسدها النحيل. من ضحكتها، من قدميها الصغيرتين، من أصابعها المضمومة الى كفيها، قال عادل انه يحبها، وهي تنظر اليه وتنتظره، لكنه يخاف.

ــ لماذا تخاف ياعادل ؟

ــ أنا أخاف من نظرتها، من غموضها الابيض وهي تمشي أو تطير. اسمها ايمان لكن يعقوب كان يسميها السماء الزرقاء. خيط الكحل الأزرق فوق هدبيها. الدموع الزرقاء التي تكرج على الخدين.

ــ جاءت السماء الزرقاء يقول يعقوب.

وأنا أقف في المطعم الجامعي وأتقدم باتجاهها. ايمان تنحني على صديقتها الجالسة أمامي وتجلس الى جانبها، كأنها لا تراني، وأنا اتقدم، العيون تلتفت الي، لا أحد يلتفت، لكني اشعر أن العيون تنغرس في ظهري، اتقدم، اتناول كرسيا وأجلس، احييها وأتكلم مع صديقتها التي تدعى مريم. والتفت فأرى العينين والسماء الزرقاء. × أمس فقط تذكرت اسمها، كنت قد تركته يغور في عيوني، لكنه جاء، جاء الاسم وحيداً بالالف الأولى التي تنحني على الياء وبالالف الثانية التي في الوسط، لا ليست سحر ولا أميرة ولا حنان الألف الثانية في الوسط، وهي في الوسط.

إيمان تمشي، إيمان تمشي وحيدة وسط شوارع فارغة وفستانها البرتقالي يتطاير على ركبتها، وأنا أمشي الى جانبها، وهي تهز رأسها، والشعر الكستنائي القصير يتطاير فوق الرأس. ولم تكن تقبل. لم يكن طموحي أن آخذها الى آخر العالم. كنت واقعياً، لم أكن ارتجف عند أول دمعة زرقاء. كنت أحاول أن أمسك يدها، احاول اقناعها أن تأتي معي الى السينما، وهي ترفض، لا تعطي الاسباب ولا تناقش. تهز رأسها الى الاعلى فافهم ان النقاش بلا جدوى. لا

أناقش. أطلب اليها أن تأتي الى المظاهرة. يومها كنا نتظاهر كل يوم. يومها كنا نحلم أننا سنحمل الارض على حناجرنا التي تجرحها الهتافات وعند الحديث عن المظاهرات كان صوتها يرتعش، تدخله ارتعاشة الخوف ولا تجاوب. ثم ضيعتها كما يضيع كل شيء، كما يضيع الرجل وسط صراخ النساء الباكيات على جثته.

ضاعت ايمان. طبعاً ذهبنا الى السينما، وافقت وجاءت هي وشقيقتها لميا. عند مدخل السينما فوجئت، كنت اعتقد أني سأختلي بيدها في الداخل وسط الظلام. لكنها هنا وأختها الى جانبها. ندخل، تجلس هي الى جانبي وشقيقتها الى جانبها. الأضواء تنطفئ. الشاشة تلتمع باللغة الانجليزية، الأبطال يتحاورون وأنا أمد يدي وأنتظر يدها، ويدها لا تأتي، همست في أذنها طالباً اليد، وهي تضع يدها في جيب كنزتها الصوفية ولا ترد. مددت يدي، أخذت يدها بعنف. نظرت ايمان وباتجاه اختها، حاولت سحب يدها. امسكت جيداً، لكنه الخوف، او خوفها او خوف الابطال داخل الشاشة، لم أعد أذكر. كان العرق يملأ يدينا المشبوكتين كأنهما في فرن، ولم أشعر بشيء. لزوجة وعرق ساخن ومحاولات لا تنتهي لسحب يدها. وأنا احاول أن اتمسك باليد، ثم أجد أن لا فائدة. أتركها ولا أرى الفيلم سوى موت البطل ×

كانت هذه هي المرة الوحيدة التي ذهبنا فيها الى السينما. ومن يومها صارت ترفض أية امكانية لبحث المسألة، ثم ضاعت، لا، قبل أن تضيع أخذتها الى إحدى تلك المظاهرات التي كانت تنتهي بإحراق دواليب الكاوتشوك ورصاص البوليس والجيش، هي التي جاءت وقالت لي انها ستأتي معي وذهبنا أذكر أنها كانت الى جانبي، اذكرها وهي تتمسك بذراعي، اذكر انها خافت كثيراً، ولا أعرف ماذا حصل بعد ذلك، اختلطنا برجال الجيش وافلتت من يدي، وبدأ الدم يلوث الطريق، ولم أرها إلا بعد ثلاثة أيام، وكان كل شيء قد صار مختلفاً. حتى هذا الرمادي الفاتح في عينيها صار غامضاً، والخيط الأزرق فوق الهدبين صار سميكا، ولم أر دموعها كي أعرف ماذا تغير في ذلك الأزرق الذي ينحدر على الخدين، حتى فستانها البرتقالي الذي يطير فوق الركبتين صار نيليا ولا يطير، وتكلمت معي كما كنا نتكلم كل يوم، ولعبنا كرة الطاولة وغلبتني كما كانت تفعل دائماً، لكن نظرتها إلي والى الآخرين صارت مختلفة.

لم أعد أفهم، قلت لصديقي.

قال يعقوب، ويعقوب هو الوحيد الذي كان يعرف كل شيء، وأنا الى الآن، رغم أني لم ألتق به منذ سنوات ، ما أزال أعتقد أنه الوحيد الذي يعرف، قال ان المذنب هو أنا، وانه ما كان يجب كل شيء، وانه يعتقد ان السماء الزرقاء ستهبط الى الأرض وتتزوج رجلا، والرجل يعني شخصاً مختلفاً عني، فأنا لا أصلح، قال يعقوب.

لم تقل لي انها ستتزوج. لم تقل شيئاً، حتى الدموع لم تتساقط من عينيها، قالت انها ستسافر، لا أعلم اذا كانت قد سافرت، سحر قالت لي انها التقت بها في باريس، لكنها

تزوجت، أنا أعرف زوجها، الجميع قالوا انه يشبهني، وانا لا اعتقد أني قبيح الى هذه الدرجة، لكنهم يقولون انه ناجح ويشتغل استاذاً في الجامعة، وأنا ماذا ؟ أنا ؟ الحق مع الجميع، أنا لا شيء.

ولكن، لماذا يتصرف زوجها بهذه الطريقة ؟

أنا لم أكن أقوى أن التقي به، هو أراد ذلك. هو الذي اتصل ورتب موعداً في المقهى، وجاء لابساً بذلة أنيقة وكرافات تميل الى السواد وجلس. طلب كأساً من الكونياك، وبدأ يقرب الكأس من أنفه يشمه، ثم يشرب ويتكلم.

ـــ قال إنه بحث عني طويلا ليخبرني ماذا جرى وكيف.

ـــ قلت له انني لا أريد أن أعرف. اسمع يا أستاذ، اسمع جيدا، انا لا اريد ان اعرف شيئا.

ـــ ولكني سأخبرك، قال الزوج

ـــ المسألة انتهت منذ زمن بعيد، ولا افهم لماذا تريد أن تفتح هذه الصفحة من جديد

ـــ قال انه رجل متحضر، فوافقته.

قال انه لم يزعل مني، وانه تزوجها على الرغم من معرفته بعلاقتها بي.

قال انه الآن أب وعنده ثلاثة اولاد

سألني عن اولادي

قلت له انني لم اتزوج، ولا اولاد عندي

هزَّ رأسه

ـــ ولو يا أستاذ عادل، لماذا لم تتزوج، الزواج هو الحل الوحيد

قلت له انه الحظ وابديت اعجابي بزواجه الناجح

اخذ جرعة من كأسه

ـــ ولكني لم اخبرك

ـــ اخبرتني، قلت له

ـــ ولكنك لم تسألني كيف ماتت.

انا سمعت انها ماتت ولم أصدق، أو لم افكر في الموضوع، هي لم تمُت انا متأكد، ربما نامت لكنها لم تمت، انا رايتها تمشي وحدها في شوارع مقفرة، تحمل صرة على ظهرها وتقول انها تبحث عني، وأنا لا اريد ان اعقد المسألة، وافضل ان ابقى معها في السينما، لكن هذا الرجل الجالس أمامي، يتابع وضع أنفه في كأسه يصر على اخباري ويروي.

انت تعرف، كلكم تعرفون، هي أصيبت بذلك المرض، جاء هكذا ودون مقدمات، شلل في اليدين وارتخاء في الفك وعدم قدرة على فتح العينين، اخذتها الى جميع الاطباء، ثم صارت ترفض أن تأتي انت تعرف كم أحبها، جاء جميع الاطباء الى البيت، وانت تعرف، في

هذه الاحوال كم يكلف الطبيب خاصة اذا جاء الى البيت، ثم اضطررنا الى ترك البيت، أيام صعبة وثلاثة أطفال وأمي وهي. وفي اللحظة الاخيرة رفضت، تمسكت بالكنباية وبدأت تبكي، لم افهم منها سوى انها لا تريد ان تذهب، تريد ان تبقى ماذا افعل، هل اجبرها على المجيء، انا في حياتي لم استخدم العنف معها، وهي التي تقرر، كل هذا الوقت منذ زواجنا وهي التي تقرر. أمي نصحتني بأخذها غصبا عنها، انا رفضت، تركتها بعد ان ملأت البيت بالمعلبات ومشينا، تركتها انا اعرف ان هذا خطأ، ولكن ان اجبرها واستعمل العنف معها خطأ أكبر أنا أعرفها وأنت تعرفها، القوة خطأ. انت توافق معي، طبعا توافق. أنت تعرف وعندما رجعنا الى البيت بعد شهر رأينا، لم نر شيئا، الجيران قالوا انهم دفنوها. ذهبنا الى المقبرة وزرناها، اين هو الخطأ؟ دلق الزوج كأسه على الطاولة، فتساقطت قطرات الكونياك على ثيابي انحنيت كي أمسحها بالفوطة، امكسني من قميصي، ونظر اليّ بعينين حمراوين.

ــ اسمع يا عادل، أنا اعرف انك تبحث عني لأنك تعتقد انني القاتل، أنا لم اقتلها، أنا حزنت عليها لكن ماذا أفعل ؟

عادل يسمع الى هذا الرجل الحليف الذي يلبس الكرافات ويشعر بوجع قاتل في معدته، لم يتحرك من مكانه، كان يستمع كأنه لا يستمع، الزوج يسكت وعادل يسكت، ثم بعد صمت دام حوالي ربع ساعة كانت فيها عيون الرجلين تتنقل بين سيقان النساء الماشيات في شارع الحمرا. سأل عادل

ــ ولكن ما هي قصة الكلب ؟

ـأي كلب ؟ لا ياأستاذ عادل، الكلب غير موجود، هذه اشاعة، وانت ايضا صدقت الاشاعة أنا لم ار الكلب، الجيران قالوا انها ماتت ميتة طبيعية، وانا صدقتهم، اعتقد انها كانت تعرف انها ستموت، لذلك فضلت ان تبقى وتموت في بيتها.

ولكن الكلب، قال عادل، الكلب الذي جاء وعضها، والرجل الذي اطلق عليها النار

ــ هذا كذب

ــ الكذب هو الحقيقة، انت تكذب، وأنا لم اسألك شيئا، لماذا تدافع عن نفسك، انت الزوج ولست الكلب، المشكلة هي الكلب، قالوا لي

ــ من قال لك، سأل الزوج بعصبية

ــ قالوا لي انها كانت تزحف على الأرض، قالوا انها وقعت على الأرض، وزحفت بحثا عن الماء، وجاء الكلب، عضها وصار يعوي، ثم تحول العواء الى ما يشبه البكاء. جاء الجيران، رأوا كلبا مليئا بالغبار، رأوا الكلب ولم يروا المرأة، وكان الكلب هائجا منهم عليهم، احدهم سحب مسدسه واطلق النار أطلق النار فقتلها، ثم اطلق فقتل الكلب. قتل المرأة دون

أن يعرف. ثم عندما عرف، اخذوها الى المقبرة، وجاء الخوري فصلى ودفنوها. وقال الخوري ووقع ورقة تقول انها ماتت ميتة طبيعية، لماذا قتلتها، سألته

ـــ انا لم اقتلها، ثم انت لا تفهم شيئا، وهذه القصة كذب، انا احبها، هل يقتل الرجل المرأة التي يحبها، هي ماتت

ـــ طبعا ماتت

وقف عادل، الزوج يقف، عادل يمد يده ويصافح الزوج

ـــ العوض بسلامتك يقول عادل

ـــ تعيش، يجاوب الزوج

ـــ هذا مصير كل حي

ـــ الحمد لله، الله أعطى والله أخذ، يقول الزوج، لكني اريد ان اخبرك كيف ماتت

ـــ لا اريد ان اعرف، يقول عادل

الزوج ينصرف، وعادل لا يريد أن يعرف

يخرج عادل الى الشارع ويمشي، عادل يرى، انه يرى، عادل يراها، وهي نفسها، تلبس فستانها البرتقالي الذي يرفرف على ركبتيها وتمشي بهدوء، تنظر الى الارض كأنها تقيس حجم خطواتها، وعادل يحلق بها، يناديها، وهي تمشي كأنها لا تسمع، عادل يركض خلفها، يصل

ـــ انت، أنت ايمان

يرى عيونا أخرى ووجها آخر، يرى ايمانا اخرى، يعتذر، ويمشي وحيدا، ويقدر أن لا يزور أمه بعد الآن.

الجبـــل

ركض الاطفال، جميع الذين ركضوا كانوا يركضون، وهو ايضا، كان عادل يركض والرجال يركضون والبنادق في الايدي، الايدي مرفوعة إلى الاعلى، الاعلى هو اعلى التلة أو الجبل، والجبل بعيد، الجبل مربوط الى حبل يتدلى، وكل شيء كان يبتعد، وهم يركضون.

قال عادل

انا اركض، كنت في وسطهم واركض، كنت امامهم واركض، ثم سقطت البوظة من يدي، كنت أحمل البوظة في يدي واركض، ثم سقطت يدي، أحدهم دفشني، الولد الذي كان يركض الى جانبي دفشني وسقطت البوظة، داستها الاقدام، جلست وسط الملعب ابكي جاءت الراهبة وسألتني لماذا ابكي، استحييت ان اقول لها انني ابكي، قلت اني لا ابكي ركضت. الاطفال يركضون، وأنا رأيت الجميع، ولانني احبهم، لانني اخاف ان يقولوا

انني لا أركض، لأنني اريد ان أكون معهم، لانني احبهم، لانني اخاف ان يحبوني، ركضت ولم اشعر بالتعب

كنت البس بنطلونا قصيرا واحمل البوظة بيدي، كنت البس بنطلونا كاكيا واحمل البارودة بيدي، كنت اريد أن لا اسقط، كنت اخاف ان يدفشني أحد، لذلك دفشته، سقط، ولم التفت اليه وركضت وركضت وارتفعت ضحكاتي الى الاعلى، ارتفعت اصواتنا الى الاعلى، والتلة كانت عالية، التلة العالية، لكنهم جاءوا. جاء رجل يحمل كماشة حديدية واجبرني على الجلوس، اجبرني على فتح فمي، ادخل الكماشة في فمي وبدأ يقتلع أسناني، بدأت ارتجف، الكرسي يرتجف، الكماشة في يده ترتجف، قفزت وركضت، ركضت، ركضت لأن طعم الكماشة في فمي كان مليئا بالصدأ

هل تذكرون، سألني عادل اذا كنت اذكر

قلت انني لا اعرف عن اي شيء تريدني ان اذكر

قال. الذكريات، لاأنسى، ربما نسيت انت أما انا فلا أنسى

قال عادل انه لا ينسى، تلك المرأة التي اسمها جنان، وهي تحمل دلو الشوكولاته الساخن في يدها وظهرها ينكسر، ورائحة الشوكلاتة القاتلة، ووكيل المعمل في الممر، الوكيل الذي يقترب ويضاجعها ثم يضربها لانها لا تشتغل، قال عادل انه يحب قتل الوكيل، يجب منع الشوكولات، يجب الا ننسى الشوكولاتة.

هل نذكر قال عادل، انت لا تذكر، وانا لا أنسى، هل تذكر كيف حملت السلم واجبرني على الركض ثم اجبرني على التسلق، ثم اجبرني على السقوط، لذلك أريد، لا اريد، لن اقبل ان يدعسني أحد لن أقبل، وركضنا.

قال عادل :

كنت اقف بينهم واركض، كنت معهم وأرقص، كنا دائرة صغيرة، ثم جاء الاولاد، لا اعلم من اين كانوا يتدفقون بايديهم الملوثة بالحبر الاسود، وصرنا نرقص، نغني ونرقص.

ــ لماذا لا تغنون يا شباب، قال ابو ربيع، تخافون من الموت، لكنكم لن تموتوا، لا أحد سيموت غنوا ولا تخافوا.

وبدأنا نغني

ــ اصواتكم حزينة، نحن لا نحزن

علت اصواتنا وكان الثلج يتساقط ونحن نركض، الثلج الابيض فوق معاطفنا الزرقاء وايدينا المرفوعة الى الاعلى تصبح زرقاء، ونحن نغني، وابو ربيع الذي مات هناك، ولم يكن يعرف انه اول من سيموت، كان يقودنا في الركض والغناء

قال عادل

أنا لم أر شيئا، لم اخلع بنطلوني حين قالت الراهبة الى النوم، قلت لها انني لا اريد ان أنام، لا، الحقيقة انني قلت لها انني لا أستطيع ان انام لان اسناني تؤلمني، اعطتني حبة اسبرين وقالت الآن ستنام، لكني لم انم، اغمضت عيوني، شديتها، انتقل الالم من اسناني الى عيوني حاولت ان انهض واذهب اليها واقول ان اسناني لا تؤلمني، انها العيون، الوجع في عيوني لكني لم أنهض ولم اقل لها شيئا ولم اغمض عيوني.

قال عادل

وعندما صوبت باتجاه الهدف، اغمضت عيني اليسرى واطلقت

ـــ انت فاشل في التصويب، قال المدرب

لكني صوبت وقتلته، انا الذي قتلته، لم يصدقني احد حين قلت لهم انني قتلته، كانوا مقتنعين اني لا اعرف التصويب، لكنهم لا يعرفون، التصويب شيء والفشل شيء آخر الرصاصة تعرف الهدف وحدها، الرصاصة تطير وتدخل في الرأس أو في الصدر، وهو يموت، انا الذي قتلت، لكنهم لا يصدقونني، طيب طيب، قولوا لي من اين يأتي الموتى، هؤلاء الموتى الذين يتدحرجون كأنهم حجارة أو كأنهم رمل يتساقط من الحجارة الرملية السميكة، هؤلاء من قتلهم

قال عادل : انا الذي قتل. انا قتلت الجميع. لم يصدقه أحد، قال ان بارودته هي التي أطلقت وقتلت، ولم يصدقوه، أما هو فصدقهم، صدق الذين قالوا انهم ماتوا، وصدق الذين قالوا انهم قتلوا، صدق الجميع ولم يصدقه أحد.

ـــ لماذا لا يصدقونك يا عادل ؟

اخبرتها. قال. اخبرت الراهبة انني لم اضرب الولد ولم ادفشه، هو وقع على الارض وبدأ الدم ينزف من انفه، لكنها لم تصدقني، اخذتني الى قبو الجراذين، قالت انها ستدهن اذني باللبن وترميني في القبو المظلم، لكني قلت لها، لم ابك، قلت لها دون ان ابكي، لكنها لا تصدق، حتى تصدقك الراهبة يجب ان تبكي، وحتى تبكي يجب ان ترى الراهبة، لكني لم ابك فاخذتني الى القبو ولم تدهن اذني باللبن ولكن الجراذين لم تأت، انتظرتها وكنت خائفا، لكنها لم تأت.

وهم ايضا انتظرتهم ولم ياتوا، كانوا يقصفون، مطر من قذائف المدفعية، قال المسؤول ان هذا يعني أنهم يستعدون للهجوم، وانتظرنا لكنهم لم يهجموا ونحن ايضا لم نهجم، نحن انتظرناهم وهو انتظرونا ولم يهجم احد.

ركض الرجال، جميع الذين ركضوا كانوا يركضون، وهو أيضا، كان عادل يركض، البنادق في الايدي، والايدي مرفوعة الى الاعلى والتلة عالية

كنت البس بنطلونا قصيرا. قال عادل

وكان يروى

روى عن النمر الابيض، نمر ككل النمور لكنه أبيض، وجهه أبيض، اقدامه بيضاء، جسد أبيض يركض على عشب ابيض، ولا يأكل غير العشب، حيوانات الغابة تخضع له، حتى الاسود تخضع له وهو يرقص والحيوانات ترقص، ثم يهجم النمر الابيض وانا اهجم معه وهو يحبني، أكيد يحبني وانا احبه، يهجم وانا اهجم معه ونكسر كل شيء، حين يتعب وانا اتعب، ينام الى جانبي في السرير، لا يأكلني، كيف يأكلني، فهو يحبني.

روى عن الحوت. الحوت الاخضر الذي يسبح في مياه زرقاء، يرفع رأسه الى الاعلى فنرى جسمه ثم ينحني ويغوص والمياه الزرقاء تتموج

روي عن الببغاء. الببغاء برشيه الاحمر والاصفر الذي يردد اسمي ويقول أهلا وسهلا، يقف على كتفي ويطير وانا اطير معه

روي عن الكلب . الكلب الصغير الذي ينام ويعوي ويقفز على الحيطان ويتسلق الاشجار وينام بين قدمي.

ويروي. هم يستمعون اليه وهو يروي، يضحكون وينظرون الى بعضهم، بعضهم ينظر الى الساعات التي في ايديهم، وهو يروي، ثم رفع رجل بارودته، الجميع حملوا بواريدهم، انا حملت بارودتي وأطلقنا النار، وهو يموت، يترنح على الارض، يقفز كأنه يكاد يطير ثم يموت، ويصبح شكله كالخروف المذبوح، كنا نطلق النار ونضحك، لا لم نكن نضحك، هو قال اننا كنا نضحك، لكننا لم نضحك، لماذا قال ذلك ؟ لا أعرف، لكنه كان على وشك الموت والخروف امامنا، كانت الجثث تملأ التلة العالية وكنا نراها كأننا لا نراها، لم نكن نستطيع سحبها، لم اكن قادرا. كانت اوجاع مفاصلي تحترق كأنني أصبت بطعنات السكاكين، وبدأنا نبكي، جميعنا نبكي، وصلنا الى البيوت المغلقة المهدمة التي هجرها اصحابها وقفنا على اعلى التلة وبكينا، وهو قبل ان يموت كان يركض، لكنه الآن لا يقف ولا يبكي.

قال عادل

لا أفهم لماذا يبكي الرجال، اقتربت منهم وسألتهم

ــ نبكي قتلانا، ألا ترى الجثث، قال احدهم

ــ ولكن نحن الذين قتلنا، الذي يقتل لا يبكي

ــ وقف رجل من بينهم، امسكني من كتفي وقال :

ــ نحن لم نقتل، رأيناه مرميا وطلبنا منك ان تساعدنا على حمله، لماذا لا تساعدنا؟

اسمعوا. صرخت، اسمعوا، ولم يكن أحد يسمع

تقدم مني رجل اعرفه، انه يشبه ابي لكنه اكثر شبابا منه، امسكني من كتفي، مد الرجل يده وأخذ عادل من كتفه وقال له

ـــ اسمع يا عادل، الدموع تغسل ثيابنا، الدموع تغسل عيوننا، وتصبح العيون اكثر جمالا، نحن لا دخل لنا، نحن فقط

قال عادل انه يفهم، طلب منه الرجل ان يبكي. لم يبك عادل

ـــ الموتى لا يبكون قال

ـــ الموتى ماتوا قال الرجل الذي يشبه أبي

ـــ ونحن. نحن الابرياء. قال نحن نرى ونحاول ان نغسل هذه الطرقات

انتم الطرقات. انتم وانا. قال عادل وركض، وركض الأولاد

لكنهم يريدون قتلي. صرخ عادل

ـــ انهم يخيفونك. قالت الراهبة، انت تخاف، هم يحبونك ويلعبون معك

ـــ لكنهم يحملون البواريد، والبواريد مصوبة الى عيوني

قال عادل لسحر، لم ير سحر لانها لم تأت الى المقهى كما وعدت

ـــ هذه ليست قصة ياعزيزي، تشيخوف يكتب عن رجل يستلقي على سريره، يغمض عينيه ويموت. انا استلقي على سرير اقرأ قصة الرجل الذي يموت، اشعر بالنعاس، اطوي الكتاب اطفيء الضوء وأنام. هذه المرة نحن لا نقرأ، الضوء ينطفيء وحده، ونحن لا نطفيء الضوء. الكتاب سينطوي ونحن في داخله، هذه المرة مختلفة

لماذا تذهبين ياسحر، استمعي اليّ على الاقل، أنا لا أريد شيئا، والله لا شيء، اجلسي فقط أمامي ودعيني اعتقد انك تستمعين، ثم لا تسمعي اذا اردت

ونحن نركض، جميع الذين يركضون ينظرون الى الخلف، كأن شيئا يتبعهم، كأن الايدي تلاحقهم كأنهم يموتون، كلكم تشبهون الذين سيموتون، أما أنا، لولا مسألة هذا الوجع في عيوني ولولا أني لا أرى جيدا لكنت اخبرتهم عن طفولتي وكيف ضعت عندما كنت في الثالثة، والتقطتني الراهبة واعتقدت أني يتيم، مسحت دموعي وأخذتني، وانا اريد ان اعود الى البيت، جاء البوليس واخذني من الدير وضربني، قلت له انني اريد ان اعود الى البيت فضربني حتى تحولت الى ما يشبه الثياب القديمة المجعلكة، واخذني الى البيت. وفي البيت ضربني أخي ثم ضربني أبي ثم ضربتني أمي. ادخلوني الى الحمام وغت دون عشاء، لكن عيوني تؤلمني، لا استطيع ان اخبركم كيف سقطت على الطريق وداستني السيارة بدواليبها وبقيت قدمي تحت العجلات زمنا لا ينتهي لا استطيع ان اخبركم شيئا، سامحوني، أفضل أن أنام، افضل ان انسى، أفضل أن أتذكر هذه الاشياء وحيدا، افضل ان اكون وحدي اراهم، حين أرى الايدي التي ترتجف فوق عيوني واسمعهم يقولون ان الدموع تغسل الثياب واكره دموعهم، ثم يقولون ان الايدي التي اطلقت النار على عيوني ما تزال تركض وانا اركض، اسقط على الارض، والارض تركض.

1 ــ الصباح

الصباح : رائحة الصباح، الاجراس، اصوات الاجراس، الضوء، الوان الضوء العيون، اوجاع العيون، العدس، الايدي، الماء

صحوت باكرا هذا الصباح، لم أر شيئا، رأيت وجهه، كان وجهه فوق وكانوا يضيئون الشموع، اشتم رائحة الشموع، هذه أمي، أمي تضيء الشموع وتملأ البيت برائحة البخور أريد أن انهض، لا أستطيع ان افتح عيوني، اريد عيوني، كأنهم سمروا عيوني بحبات العدس، العدس الاسود، البصل، الزيت، الزيتون، كأنهم حولوا البيت الى دكان، من يريد ان يشتري ؟ لا أحد يشتري، كلهم يبيعون ولا أحد يشتري

أقف، أنا أقف. من اين جاء الريش، أرى الدجاج، الدجاج الابيض، دجاجات تركب على دجاجات، دجاجات عمرا ميلاي، اصوات الدجاج الأحمر، اخاف من الدجاج، الدجاج المذعور الذي يصدر أصواتا ويتراكب يخيفني، الريش يطير في الهواء، ريش أبيض يطير في الهواء، أمسك الريش، اضع الريش في فمي والدجاج وانا اتراجع استند الى الحائط يسقط استند الى الباب ينفتح والدجاج يملأ المكان وانا أخاف

لماذا لا تضيئون الضوء ؟

أنا أتسلق، أنا في أعلى الشجرة وحبات الأكدينية الصفراء تحيط بي. أجلس على القفص السميك وامرجح قدمي في القضاء، اقطف الحبات، آكلها وأرمي البزر الى الارض، الدجاجات تتراكض، أرى الدجاجة السوداء تنحني على بزرة، انزلق من اعلى الشجرة، أركض وراء الدجاجة والدجاجة تركض. أمسك بها، ريش أسود يميل الى الاخضرار، امسك منقارها بيدي ثم اتركها تنزلق على الارض، تفرد جناحيها مذعورة وتركض، القضيب في يدي، اضربها على ظهرها، اضربها على ريشها، الريش الأسود يتساقط، الدجاجة تتوقف عن الركض تنحني لضربات القضيب، الدجاجات الاخرى لا تلتفت الينا، تركض والديك الاحمر يركض خلفها وانا اضرب، الدجاجة تترنح، بطنها يلامس الارض، اتوقف عن الضرب، انحني فوقها، انزع بعض ريشها الاسود المخضر وهي لا تقاوم أتسلق الشجر، آكل وأرمي البزر وهي كأنها لا ترى، كأنها ماتت.

ابى قال ان الدجاجة ماتت، لم يسأل من قتلها، كان لا يحبها لانها سوداء ويفضل الدجاج الابيض ويقول ان افضل انواع الديوك هي الديوك الحمراء

من اين اتوا بكل هذا الدجاج الى البيت ؟

اللجام متين امام المصطبة ويذبح الدجاج والدجاج يطير. الدجاج الخائف يهجم وأنا اخاف، قلت لامي ان عليها ان تضيء الضوء، قلت لها انني أكاد اختنق، لكنهم يقرعون الاجراس، الاجراس تنبض في بطني، في فخذي، في رأسي، الاجراس في عيوني، وامي تجلب

3 ـــ تتهيأ البلادُ اذْ بالنهر يطفحُ منها، حول ضفتيه دمٌ يتكاثفُ، ترابٌ ينهضُ، صخب صفيرٌ صخبٌ قادمٌ بلادي تعلو هو البحرُ والبحارةُ تشرحُ دمي البحرُ والرجالُ جسدي.
الشموع وتلك التي اخبرتكم عنها ماذا اخبرتكم ؟ تلك ماذا قلت لها ؟ سألتها عن اسمها وجاوبتني، ماذا جاوبتني ؟ والشموع، اين الشموع ؟

هل يمكن، الكلاب تنبح، الكلب يقف على النافذة وينبح، وانا لا احب الكلاب، والشموع تحترق، والرائحة، رائحة الحريق الذي يملأ انفي وانا أحترق، صرت كتلة من الحريق، قلت لأمي ان الضوء، لا لزوم للضوء، تستطيعين ان تطفئي كل شيء، تستطيعين ان تغلقي النافذة. وأن تغطيني، ارجوك ان تغطيني.

وانا انام، أنا لا افتح عيوني، عيوني لا تؤلمني، عيون مغلقة، وانا لا أريد، اريد أن اغطي رأسي بالحزام الصوفي، لا أريد أن أفتح عيوني، عيوني لا تؤلمني لكنني لم اعد خائف

هل تسمعني تلك المرأة التي قال زوجها انها ماتت، انه يكذب عليها، ثم يكذب عليّ ثم يكذب عليكم، لا تصدقوه، صدقوني أنا. وأنا أيضا، ارجوكم لا تصدقوني

أنا أيضا اشم رائحة الصباح، أرى الصباح، لا أرى شيئا، الشمس لا تشرق في الصباح، الارض لا تتدحرج، لذلك اخبركم كل شيء، لذلك أنا مستعد أن اخبركم كل شيء، ولكن ابعدوا وجه هذا الرجل عني، لحيته في صدري، ابعدوا لحيته، رائحة فمه تكاد تقتلني، ابعدوا فمه، ابعدوه، وأنا اوافق على كل شيء.

العدد القادم (25) من «الثقافة الجديدة»
ملف خاص
بالقصة القصيرة في أمريكا اللاتينية
يصدر قريبا